

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أشرقت بنور وجهه الظلمات، وخضعت لجلال سلطانه الكائنات، وازدانت بسنا هديه النفوس المطمئنات، سبحانه هو الواحد القهار، يخلق ما يشاء ويختار، ويصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس، القائل: "وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون" وأصلي وأسلم على من بعث للناس معلما، ولمكارم الأخلاق متما، ولشّات الأمة ململما، النبي الأمي محمد بن عبد الله القائل صدقا من الحديث وبلسما: ألا أخبركم، عن ملوك الجنة؟ قالوا بلى، قال: كل مستضعف ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره.

وأثني على خير القرون، والثلة الأولين السابقين، من الانصار والمهاجرين، الذين اختارهم رب الخلائق لآخر رسله صحبة وبناة، ولخير أئمة نجومها وهداة. فكانوا خير من ابتغوا إلى ربهم الوسيلة، وصفوة من زينوا سماء الفضيلة، وجاؤوا من الخيرات بكل جليّة، والذين لو أنفق أحدنا ملء الأرض ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولو قليلاً. فالله صل وسلم على خير من دعا ربه واستخار، وعلى القلة من آل بيته الأطهار، والثلة من جلة أصحابه الأخيار، وعلى من سلك سبيله راشداً إلى يوم تشخص فيه الأبصار.

أيها الملائكة الكريمة من بني قومي السراة، وياحظوة الأمة الأباة، وياصفوة الأحبة الهداة، وياأبناءنا الأعزّة الأبرار، وفلذات أكبادنا الأطهار، ويا خلفنا الصالح بعد طول أعمار سلام عليكم تكنه الجوانح من رب غفور، ورحمة شاملة تحفها المدائح من رب شكور، وبركة سابعة تذرّوها الصفائح من قوي قدير، في ذكرى يوم عامر من أيام الله، وحدث باهر قضى في ملكوت الله، يوم لقاء هذه النفوس الخيرة، والوجوه النيرة، في رحاب معهد عمي سعيد، لتأبين رجل في الخالدين سعيد، الشيخ الوقور والرجل الصبور والأب الشغوف، المربي العطوف الحاج أحمد بن بكير بازين، تلذي خلف في الآخرين لسان صدق، فكان له في العالين مقعد صدق.

إيه معشر الأكرمين إنما الذكرى في الميعاد تقام، لتعزيز افتقدناه على فاقة منذ أيام، ومرشداً واكب الدرب مرابطاً واستقام، وراعياً ظل مسجياً لنا على الدوام، طوال الدهر في جدث، وأبقانا بعده في عنت، وقلوبنا شوقاً إلى لقاءه في لهث. وإي وربي إنه ذلكم الذي بذكره تنزل الرحمت، وبدعائه تحل البركات. من صدق فيه قول الحبيب المصطفى: "خياركم من ذكركم بالله رؤيته، وزاد فيعلمكم منطقه، ورغبكم في الآخرة عمله".

فكيف يطيب اللقاء دونك يا فقيد، وكيف تسكن النفوس بعدك يا شهيد، وقد كنت في عمرك المديد، دوماً لنا الأمل البعيد، ولازلت حتماً في الأفق الفجر الجديد، والسراج الذي ينير الدرب في اليوم الشديد، وأنت من يصدق فيك قول حميد بن ثور الهلالي:

ومحرق عنه القميص تخاله وسط البيوت من الحياء سقيما

حتى إذا رفع اللواعة رأته تحت اللواء على الخميس لواء

ألا رحماك يا أبانا، لكم كنت ظلاً على القوم ظليلاً، ويا بشراك مديراً لكم حنوت على النشء عطفاً جزيلاً، وسقيت البنية ماء الحياة سلسيلاً، ويا سعادك مولانا لكم أسديت إلى المحفل رأياً جليلاً، وحملت مما تنوء به أولو العصبة من القوة عبثاً ثقيلاً. لقد

كنت الملاذ في معترك الأهواء، والفصل في مشتجر الآراء، والبلسم في موضع الداء، فيا سماء ما طاولتها سماء، ما كانت تصدر إلا عن ضوئك الأضواء

ذهب الصواب برأيه فكأنما آراؤه اشتقت من التأيد

فإذا دجا خطب تبلج رأيه صبحا من التوفيق والتأيد

فهل ترى لك من باقية، تكون لنا من بعدك واقية، ولأسقامنا من نفثك راقية، ولعطاشنا من وردك ساقية، هذا الذي تقفو إليه نفوسنا، وترنو إليه قلوبنا، وتسعى إليه جموعنا، مستمسكة بحبل الله المتين، معتصمة بنور كتابه المبين.

إذا ذكرتك يوما قلت واحزنا وما يرد عليك القول واحزنا

ياسيدي ومزاج الروح في جسدي هلا دنا الموت مني حينمنك دنا

ياأطيب الناس روحا ضمه بدن أستودع الله ذاك الروح والبدنا

لو كنت أعطى به الدنيا معاوضة منه لما كانت النيا له ثمنا

أيها الأحبة الأكرمون: قد يبدو لمن لا يستمطر الأخبار أن إقامة هذا الحفل في مثل هذا اليوم كان أمرا عجيبا، ولمن يجهل تاريخ ماضيه، أن إقبال القوم إلى مثل هذا المقام بات شيئا غريبا، وقد يراه من لا يعي من قدر الله شيئا أنه كان من قبيل المصادفة لا أمرا رتبيا. ويشند التساؤل إلحاحا، لم تقيم مؤسسة الشيخ عمي سعيد أساتذة وطلبة ومريدين ذكرى مديرهم القدير رحمه الله؟

أيها السادة الأفاضل، ويا أبناء الأمة الأمثال، ما أجمل بالأمة الإسلامية أن تحيي في نفوس أبنائها أجمل المناسبات، وتغرس في قلوبهم أسمى العبر والعظات، فتقص عليهم جميل الذكريات، وتحكي لهم جميع المكرمات عن أنبل أسلاف مضوا، وأكرم أجداد قضوا، مدا لبارقة الامل، وشحذا لعزيمة العمل، واستنارة لدرب الحياة مهما امتد بها الأجل، امتثالا لقوله تعالى: " فاقصص القصص لعلهم يتفكرون " وتجسيذا لقوله: " لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون " وبخاصة في هذه العصور الأخيرة التي يشتد فيها تكالب قوى الشر دون هواده، ويزداد فيها تقارب ملل الكفر في فضاضة، مكشرة عن أنيابها في صلف، ومبرزة مخالبها في شغف، " لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون " تبغي التهام ما تبقى في الأمة من أوصال، وتنوي تدمير ما تبدى من أطلال، حتى لقد صدق فيها وصف الأديب محمود غنيم في قصيدته وقفة على طلل إذ قال:

أي اتجهت إلى الإسلام في بلد تجده كالطير مقصوصا جناحاه

ويح العروبة كان كالكون مسرحها فأصبحت تتوارى في زواياه

إن المرء عندما يقف في ختام عمر هذا المجاهد الباسل، ويرجع البصر كرتين عبر سنوات هذا العمر الحافل، لتبدو له من أمد سحيق، وترنو له من أفق عميق، طلائع العز وبشائر الجحد، ونفحات الفخار وسمات السؤدد على قسماات هذا العلم المجيد، وبصمات هذا العمر المديد، وسنا حبات هذا العقد النضيد، بما تكنه من حميد الخصال، وتزخر من جسيم الأعمال، وتسبكه من مآثر ترصع قنن

الجمال، وتخلده من محامد تنوء بالعصبة أولي القوة من الرجال. لكنها المروءة متى حلت بقلب فطن أثمرت يانع الثمار، وأنبئت العز والفخر، غير أني أراها شحيحة هذه الأيام، عزيزة عند الأنام، لم يعد لها في الورى مقام.

مررت على المروءة وهي تبكي

فقلت علام تنتحب الفتاة

فقلت كيف لا أبكي وأهلي

جميعا دون خلق الله ماتوا

لعل أشد ما يخلب الألباب في محتفانا، وأكثر ما يحير الأفهام في متوفانا خصلتان عظيمتان قل ما يتحلى بهما في هذا الزمان، وهما نفستان جل إذا تزين بهما الإنسان، أليس هذا أول ما يعيننا أن ندركه، وأولى ما ينبغي علينا أن نعرفه، من سيرة شيخنا هذا الذي به تفخر، وبما أثره نجهر، وقد بلغ عنان السماء مجدا لن يحول، وغدا في آفاق الغبراء نجما ماله من أفول، إلهما: الحياء في ارتفاع، والمهابة في اتضاع، فأعظم بهما خصالا، وأخلق بهما للنفس كمالا: أما الحياء فهو خلق الإسلام، إن لكل دين خلقا وإن خلق الإسلام الحياء، وهو لا يأتي إلا بخير، كما جاء في جوامع كلم من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، المصطفى عليه السلام لأن الحياء هو واهب الحياة، وما أصدق الفحل أبا تمام في قوله:

يعيش المرء ما استحيا بخير

ويبقى العود ما بقي اللحاء

فلا والله ما في العيش خير

ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

أما المهابة فأكرم بها شيمة مغشاة بجلباب التواضع، وأقبح بها رزية موشاة بخمار الترفع، وما كنا نرى محتفانا في المجالس -مهما عز شأنها- إلا وجلباب التواضع يزيده محبة وجلالا، ودثار الوقار يزينه هيبة وجمالا، فأين منه من شأنه الدعة والاستعلاء، وأنى يرقى مرقاه من دأبه الخطل والكبرياء، فما بالترفع تنال المحامد، ولا بالتمنع تكال المدائح. لقد كان الرجل يعمل في صمت مهيب، ويصدع بالحق في صوت رهيب، ويفري العضلات بفكر أريب، ويأتي ربه بقلب منيب، وما كنت تحسبه فاعلا ذلك في نخافة جسمه، وبساطة ثوب، وكثرة صمت.

ترى الرجل نحيفا فتزدرية

وفي أثوابه أسد هصور

ويعجبك الطير فتبتليه

فيخلف ظنك الرجل الطير

ضعاف الأسد أكثرها زئيرا

وأصرمها التي لا تزيـر

هكذا كان دأبه إلى آخر نفس، يتقد غيرة، ويتجدد عزيمة في كل ميدان ووطئه رجلاه، وكل عمل بطشته يمناه، وكل جمع غشيته رؤياه، يأتي بما لا يأتي به من هو أكثر منه مالا، وأعز نفرا، ولكني به يردد مع شاعر الفقهاء الإمام محمد بن إدريس الشافعي مقولته المشهورة:

علي ثياب لو تباع جميعها

بفلس لكان الفلس منهن أكثرا

وفيهن نفس لو تقاس ببعضها

نفوس الورى كانت أجل وأكبرا

ما ضر نصل السيف إخالق غمده

إن كان غضبا حيث وجهته فرى

لتلك المعاني السامية، وتلك المباني العالية نقوم اليوم في هذا الجمع نرد بعض جميل ما قدمه المحتفى لمجتمعه من نصيح، وتوجيه، وتضحية، وجهود في جميع المجالات التي يتبغي فيها المرء إلى ربه الوسيلة، ويرهق نفسه مطواعا لينير لأبناء أمته دروب الفضيلة. فسلام على آل بازين في العالمين إنه من عباد الله المخلصين كذلك يجزي الله المحسنين، وسلام عليه يوم ولد، ويوم يموت ويوم يبعث حيا.

فبالأصالة عن القرارة جمعاء، ممن أقلتهم الغبراء وأظلتهم الخضراء من هيئات دينية، وجمعيات خيرية، ومؤسسات تربوية، وجمعيات ثقافية، وبالنيابة عن كل هذه التي ذكرتها في كل قصور وادي مزاب ووارجلان نزجل عاطر الثناء لمؤسسة الشيخ عمي سعيد العتيدة، التي أقامت هذا المهرجان قربانا للجليل، وعرفانا بالجميل، واحتسابا للجزيل. راجين من الولي الحميد أن يتقبل محتفانا عنده قبولاً حسناً، ويهدي خلفنا إلى حسن التأسي. بمن كانوا يوماً خير سلفنا، "والذين ءامنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين "

" ياأيها الذين ءامنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم "

" إن الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً "

" سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين "

عيسى بن محمد الشيخ بالحاج

أستاذ بمعهد الحياة -القرارة-

غرداية يوم الخميس 18 جمادى الثاني 1430هـ — يوافقه 11 جوان 2009م